الكفل ... ذاكرة ... وتاريخ

تصوير: حيدر عبد الجواد

بابل / مكتب المدى / محمد علي ناصر

على الرغم من ان مدينة بابل الاثرية يعود عمقها الامني الى اكثر من ستة الاف سنة خلت.. حيث كانت حاضرة بمدينتها وعلومها وآدابها وفنونها وجنائنها منذ ان شرع الملك المشهور حمورابي شريعته التي نصت على العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها..

والى جانب هذه المدينة الاثرية التي تقع الى جنوب بغداد (٩٠ كم) هناك العديد من المزارات والمراقد والمقامات الشريفة واماكن لاقامة الانبياء والاولياء الصالحين والعلماء الاعلام الذين اغنوا الحياة الفكرية والثقافية بفيوض العلوم والمعرفة والاداب.

وفي احصائيات لمديرية الاوقاف والشؤون الدينية لمنطقة الفرات الاوسط اتضح ان في محافظة بابل اكثر من (١٢١) مرقداً ومزاراً ومقاماً لاولئك الطاهرين والعلماء والاولياء والاتقياء.. ونحاول في هذا الاستطلاع ان نلقي ضوءاً على واحد من تلك المقامات فكان لنا زيارة الى مرقد النبي (ذي الكفل) (ع).

مصادر تاريخية

تؤكد المصادر التاريخية ان (ذي الكفل) (ع) هو بشر ابن ايوب بعثه الله تعالى نبياً للناس وسماه (ذي الكفل) وامره بالدعوة الى توحيد الله سبحانه.. حيث كان مقيما في بلاد الشام حتى توفي عن عمر يناهز التسعين وكان نبيا بعد النبي سليمان حيث كان يقضي بقضاء الله تعالى وباحكام النبي داود. وقيل انه تكفل بني قومه وقضى بينهم بالحق والقسط والعدل.

وقيل انه بعث قبل النبي عيسى وكفل سبعين نبياً ونجاهم من العذاب الاليم.. وعن الامام (علي بن ابي طالب) (ع) هذا قبر يهوذا بن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم ابن ابي بكر ابن يعقوب وهو الذي اشار الى اخوة يوسف الصديق (ع) ان يلقوا يوسف في غيابة الجب.. وذلك بعد ان اراد الاخوة الحاسدون قتله.

ان الزائر الى مرقد النبي ذي الكفل (ع) اول ما يطالعه قبة ومنارتان شامختان تدلان وبشكل واضح على اختلاف الزمن فيما بينهما.

فالمئذنة الاولى تؤكد من عمارتها وطرازها بان بناءها يعود الى زمن السلاجقة وهي على غرار مئذنة وقبة (ست زبيدة) في بغداد وهي بارتفاع (٥٤) متراً ومبنية بالطابوق والجص والنورة.. اما المئذنة الثانية فيعود زمنها الى الدولة البويهية حيث تبدو عليها رسومات ونقوش على الطراز الكوفي القديم وهي بسعة (٣٠) متراً وبارتفاع (٢٠) متراً ومبنية من الطابوق والجص والنورة ايضاً. وفي داخلها سلم لولبي يوصل الى اعلى المئذنة وحوضها. وحين الدخول الى المرقد الشريف تأخذنا الدهشة والتأمل حيث الباب الرئيس المصنوع من الخشب المرصع بالفضة.. وايوان بطول خمسة امتار من الجهة اليمنى.. اما من الجهة اليسرى فالطريق بطول مترين يؤدي الى مكتبة صغيرة اندست بالجدار وبطول مترين وبعرض متر واحد.. وهناك ساحة عند المدخل وسطية بمساحة ٣٠٠ متر مربع محاطة بـ (١٧) ايوانا تقع في جهاتها الثلاث.

اما قبة المرقد فهي بمساحة ٣٠ متراً مربعاً وبارتفاع ٢٠ متراً. وعند التجوال في ارجاء المرقد نشاهد اربعة مراقد متراصفة.. تعود الى اصحاب النبي ذي الكفل (ع) وهي بارتفاع متر وبطول متر واحد تقريبا.. وهم (يوشع ويوحنا الدملجي وخون ناقل التوراة وباروخ) وقبالة هذه القبور هناك غرفة صغيرة بمساحة ثلاثة امتار مربعة يقال انها مقام نبي الله الخضر (ع) حيث تظهر في الغرفة نقوش اسلامية باللون الاحمر.

حدثنا احد وجوه مدينة الكفل والمعروف باهتمامه بتاريخ المدينة فقال: في التاريخ وجدنا ان مسجد (النخيلة) يقع بالقرب من مرقد النبي ذي الكفل لكنما اليوم لا يوجد اي اثر او دلالة ظاهرة لهذا المسجد... سوى المئذنة القائمة واسوار ثلاثة قديمة عالية الجدران.

ونلتقي بالسيد محمد جواد من دائرة الاثار في مدينة بابل الاثرية حيث قال: لقد جرت بعض اعمال البحث والتنقيب لتحديد مكان وموقع مسجد (النخيلة) ولتبيان مساحته.. كما جرت ترميمات اولية على المئذنة التي لم تزل تشكو من الميلان نتيجة عوامل شتى منها طبيعة الارض وتأثير المياه الجوفية عليها.. لذا فقد تمت بعض اعمال التنظيف والمسح.. الى جانب وضع دراسة لمشروع الحفاظ على المئذنة ومعالجة ميلانها.

اليوم نضع مشكلة هذا المرفق الديني الذي يزوره الالاف من العراقيين ومن الدول العربية والاسلامية لما له من مكانة دينية مهمة ايام المسؤولين.. حيث تشكو كل جهات ومآذن وقبة ودواخل المرقد من عدم الاهتمام والعناية بما يليق ومكانته الدينية والسياحية..و هو من مهام وزارة الاثار والسياحة التي تضطلع بمسؤولية الحفاظ على الاماكن السياحية وخاصة الدينية منها لما لها من مردودات ايجابية في دعم الاقتصاد الوطني وحفاظا على الاماكن المقدسة في عراقنا الجديد.

المدن والهواء الملوث

تصوير: نهاد العزاوي

صباح الياسري

يتألف الهواء النظيف حسب الكشوفات الصحية من النايتروجين بنسبة ٧٨٪ والاوكسجين بنسبة ٢١٪ اضافة الى ١٪ من ثاني اوكسيد الكاربون وغازات غير ذلك وكميات متفوتة من بخار الماء.

وتلوث الهواء يعني وجود غازات او دقائق اخرى ليست ضمن التركيبة الطبيعية له، هذه الغازات والدقائق تسمى ملوثات الهواء وقد تؤدي كميات قليلة منها الى مشكلات بيئية وصحية خطرة.

ومن الممكن رؤية بعض ملوثات الهواء، مثل الطيف الاسمر المحمر للدخان، الا ان الكثير من الملوثات الاخرى، وبعضها خطرة جدا تكون غير مرئية، فقد يحصل تلوث الهواء بشكل طبيعي مثلما يحدث عن ثوران البراكين او حرائق الغابات او العواصف الرملية وهذه حوادث عرضية. من ناحية اخرى فان التلوث الحاصل خلال المئة سنة الاخيرة كان من صنع الانسان واصبح مشكلة دائمية وخطرة.

وهناك عدة انواع من تلوث الهواء مع تأثيرات معروفة لها مثل الدخان والامطار الحامضية وظاهرة البيت الزجاجي اضافة الى التقوب في طبقة الاوزون، كل هذه المشكلات لها تأثيرات خطرة على صحتنا وعلى البيئة ككل.

وواحد من انواع التلوث هو اطلاق دقائق الى الهواء تنتج من حرق الوقود للحصول على الطاقة، هذه الدقائق هي اجزاء صغيرة جدا من المادة بحجم ٢,٥ مايكرون ويدعى هذا التلوث احيانا بتلوث الكاربون الاسود ويتأتى من العوادم الناتجة عن حرق الوقود في المركبات والبيوت والمعامل الصناعية ويعتقد البعض انه حتى حرق الخشب والفحم في المواقد في حفلات الشواء يؤدي الى اطلاق كميات مهمة من (السناج-السخام) الى الهواء.

وهناك نوع آخر من التلوث يعمل على اطلاق غازات ضارة مثل ثاني اوكسيد الكبريت واول اوكسيد الكاربون واوكسيدات النايتروجين وابخرة كيمياوية وهي قد تشترك في تفاعلات كيمياوية اخرى عندما تنطلق الى الجو محدثة الدخان والامطار الحامضية. ينبغي كذلك الالتفات الى التلوث الحاصل داخل بيوتنا وفي المكاتب والمدارس وبعض الملوثات تنتج بسبب فعالية داخلية مثل التدخين والطبخ ونحن نقضي اكثر اوقاتنا داخل المباني ولذلك فان التعرض لهذه الملوثات قد تكون له نتائج خطرة.

الدخان

انظر الى اية مدينة كبيرة سترى الدخان يبدو احيانا كغيمة سمراء او رمادية كبيرة معلقة في الهواء انه يدعى الدخان smog وهو عبارة عن مزيج من الضباب والدخان ويسمى احيانا بالاوزون الارضي (قريبا من سطح الارض) وهو مشكلة حقيقية لملايين الناس حول العالم.

يتكون الدخان بسبب التفاعل بين عدة ملوثات ناتجة عن مصادر مختلفة، عادة من عوادم المركبات والانبعاث الصناعي وكثيرا ما تعانيه مراكز المدن العراقية خاصة في الاشهر الحارة من السنة والسبب الدقيق للتلوث في كل مدينة قد يكون مختلفا ويتم تثبيت التلوث بشكل مختلف من مدينة الى اخرى اعتمادا على الموقع الجغرافي والحرارة والرياح وعوامل طقسية اخرى، ولكن هذا لا يحدث في بعض الاحيان فيتراكم التلوث بدرجة خطرة، ويحدث الانعكاس الحراري عندما تكون الحرارة قرب الارض اقل من حرارة الهواء فوقه وفي هذه الحالة لن يصعد التلوث الى اعلى ليتم تشتته والمدن التي تحيط بها الجبال تعاني احتجاز التلوث ويمكن ان يحدث الانعكاس الحراري في أي فصل من فصول السنة وتسبب الانعكاسات الشتوية تلوثا بالدقائق واول اوكسيد الكاربون، اما الانعكاس الصيفي فيمكن ان يسببه الدخان، وتنتج اكثر مشكلات الدخان اليوم بسبب الدخان الكيميائي الضوئي وهو تفاعل كيميائي معقد ينشأ عندما تقوم اشعة الشمس بتفكيك المركبات الكيماوية مثل المركبات العضوية الطيارة.

Voiatile ovganic compoand

واوكسيدات النتروجين الى عناصرها المكونة فتقوم ذرة الاوكسجين الحرة الناشئة من التفكيك بالارتباط بالاوكسجين الموجود في الهواء ٠٢ لتكوين الاوزون الذي هو شكل مختلف للاوكسجين يتكون من ثلاث ذرات بدلا من ذرتين ويرمز له بالرمز ٠٣ وتحدث المركبات الطبيعية العضوية الطيارة واوكسيدات النيتروجين بصورة طبيعية وهي تساهم في تكوين الاوزون الارضي الا ان المصادر الناتجة عن الفعاليات الانسانية صارت مشكلة كبيرة في الوقت الحاضر وهي تأتي من وسائط النقل بشكل خاص والمصادر الاخرى للاحراق وتشمل المذيبات والكازولين والاصباغ والهايدروكاربونات في الصناعات البتروكيمياوية وتحدد وكالة حماية البيئة الامريكية ستة ملوثات هوائية تحددها القوانين وهي الاوزون والمركبات العضوية الطيارة وثاني اوكسيد النتروجين واول اوكسيد الكاربون ومواد دقائقية وثاني اوكسيد الكبريت وتدعى بالملوثات القياسية وتحدد هذه الوكالة ١٨٨ ملوثا ثانويا بضمنها الرصاص والبنزين.

الكاربون الاسود

والتلوث بالكاربون الاسود يتم بواسطة دقائق صغيرة تطلق الى الهواء بعد حرق الوقود للحصول على الطاقة وقد اصبح هذا التلوث مشكلة كبيرة منذ بداية الثورة الصناعية وتطوير مكائن الاحتراق الداخلي والدوريات العلمية التي تهتم بالسناج تعود الى عام ١٨٩٦ وقد اصبح الانسان معتمدا على وقود الحفريات بدرجة كبيرة (منتجات النفط والفحم والغاز الطبيعي) بحيث صار الانبعاث الناتج عن الاحتراق الداخلي يشكل مشكلة خطرة ليس لصحة الانسان فحسب وانما للبيئة العالمية ككل.

الامطار الحامضية

تعد الامطار الحامضية احدى نتائج تلوث الهواء عندما يرتبط حامض السلفوريك مع قطرات الماء في الهواء فان الماء يصبح حامضا وقد يكون تأثير الامطار الحامضية خطرا جدا فهو يدمر كيميائية البحيرات والانهار والآثار الناتجة عنها قد تؤدي الى موت الاشجار واذى الحيوانات والاسماك والحياة البرية الاخرى.

الاحتباس الحراري

ويسمى أيضا بظاهرة البيت الزجاجي او البيت الاخضر ويعتقد انه يأتي من تراكم غاز ثاني اوكسيد الكاربون في الهواء وهذا الغاز ينتج من حرق الوقود، وتقوم النباتات باستخدام غاز ثاني اوكسيد الكاربون وتحويله الى اوكسجين الا ان اطلاق الغاز بسبب الفعاليات الانسانية هو اكثر من قدرة النباتات على تمثيله واحتوائه وقد اصبح الوضع اسوأ بعد حرق العديد من الغابات على الارض وتدمير نباتات اخرى بواسطة الامطار الحامضية وعلى هذا فان كمية ثاني اوكسيد الكاربون تستمر بالزيادة ويعمل هذا التراكم كغطاء لحجز الحرارة قريبا من سطح الارض. ان تغييراً طفيفاً في درجات الحرارة يمكن ان يكون له تأثير كبير علينا جميعا عن طريق احداث تغييرات في المناخ وحتى امكانية ذوبان قمم الجليد القطبية التي قد تؤدي الى زيادة في مستوى سطح البحر مؤدية الى فيضانات واسعة الانتشار في المناطق الساحلية.

نضوب الاوزون

بعد نضوب الاوزون نتيجة اخرى لتلوث الهواء، فان المواد الكيمياوية التي تطلقها فعالياتنا يمكن ان تؤثر على طبقة الستراتوسفيرا التي تحمي الارض من التأثيرات الضارة للاشعة فوق البنفسجية، ان غازات الكلوروفوكاربون التي تنطلق من القناني النافثة واجهزة التبريد والثلاجات التي تعمل على ازالة جزء من الاوزون وتحدث فيه ثقوبا تسمح بمرور الاشعة فوق البنفسجية مسببة سرطان الجلد التي لها تاثير مؤذ على الانسان والنبات والحيوان.

ان لدينا دراسات عديدة عن ملوثات الهواء ولكن ليس لدينا اجراءات لمكافحة هذا التلوث في العراق.